سلسلة قصص قصيرة (15)

لم ندفنْه سَوِيًّا

ستٌّ قصصٍ قصيرةٍ

جمال الجزيري

حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني

طبعة أولى

أغسطس 2015

سلسلة قصص قصيرة (15)

سلسلة تصدر عن حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني

المؤلف: جمال الجزيري

العنوان: لم ندفنه سويًّا: ستُّ قصصٍ قصيرة

التصنيف: قصص قصيرة [فن السرد، أدب عربي معاصر]

الطبعة الأولى: أغسطس 2015

تصميم الغلاف: المبدع محمود الرجبي

تصميم الكتاب: د. جمال الجزيري

الناشر: حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني

دار نشر إلكترونية مجانية لا تهدف للربح

للمراسلة لنشر أعمالكم في السلاسل المختلفة التي تصدرها حمارتك العرجا، الرجاء تقديم طلب على موقع الدار:

http://homartkelarja.wix.com/homartk

https://www.facebook.com/Hemartakalarja

/https://www.facebook.com/groups/Hemartak.Alarja

وإرسال الملف وفقا لشروط النشر على إيميل الدار باسم د. جمال الجزيري أو على إيميله الخاص:

elgezeery@gmail.com

hemartak@gmail.com

إشارة

كُتبت قصص هذه المجموعة في الفترة ما بين ديسمبر 2007 إلى 23 يناير 2011

امتداد

-1-

تباعدت بَلْدَاتُنا وراءنا ونحن نقود سيارات الميكروباص المُستأجرةَ في الاتجاه الشمالي الغربي. قررنا أن نقضي يومين في الدير سياحة واستجماما وتأمُّلا. تذكرنا برنامج "لمبة شو" على قناة "نايل كوميدي"، فأخذنا نتضاحك ونحن نغنِّي "بالسلام احنا ابتدينا بالسلام" ونحن نتفرج على الفتاة الجالسة على ضفة الترعة على يسارنا وهي تغسل شعرها – منّا من يتفرج بأسى، منّا من يتفرج بإعجاب أو دهشة، كأننا وجدنا راحة في مشاهدتها، أو أننا كنا نهيئ أنفسنا للاستجمام في الدير.

لم نكن متعجلين، فالطريق كلها جزء من رحلتنا. لذلك أوقفنا سياراتنا على جانب الطريق قليلا وخرجنا لننعم بالخضرة والإحساس بماء الترعة المنساب دون أن نلمسه. تذكّرنا الإعلانات القديمة الخاصة بـ "أعطِ ظهرك" للترعة. لكننا لم نعطها ظهورنا، وفي الوقت ذاته لم نلمس الماء. فقط

أخذنا نتأمل صفاءه والأسماك الصغيرة التي تعوم بالقرب من سطح الماء. سمعنا سارينة شرطة ما. وجدنا وجوها لا يظهر عليها أثر الطين تأمرنا بالابتعاد. يبدو أننا لم نتردَّدْ أو لم نُرِدْ أن يُفْسِدَ فرحتَنا شيءٌ غريب أو سخيف، فسرعان ما صعدنا إلى سياراتنا وأَدَرْنَا المحركات كي نواصل رحلتنا.

غابت الترعة وغابت الفتاة التي تغسل شعرها عن عيوننا: ربما كان رجال الشرطة اقتادوها معهم. جفت أغنية السلام من على شفاهنا. حاولنا أن نبلل ألسنتنا بالماء. كان يبدو علينا أننا سافرنا آلاف الأميال، بالرغم من أن عدّاد سرعة السيارة لم يُظهِر إلا آلافا قليلة من الأمتار، بل إن الألف الثالثة لم تنتصف بعد.

هل تذكّرنا مسلسلَ "سُنْبُل في رحلة المليون" توقيعًا تلبيةً؟ أي توقيع بالضبط؟ أخذنا نلبي ونكبّر مسلمين ومسيحيين كأننا دخلنا أرضا مقدسة. رأينا رجالا يقلِّمون أشجار نخيل، لم يكتفوا بالجريد والسعف، فسرعان ما رأينا قلوبَ النخل وجمَّارها يتساقطون على الأرض بلا هوادة

وكأنهم خطايا تُضْرَبُ بالبلطة ثم تُقْذَفُ على الأرض التي تتأوه تحتها. وما أن فكّرنا في الاقتراب من النخيل والضغط على كلاكس السيارة لتنبيه المقلِّمين حتى طارت نحونا بلطة كادت تهشّم زجاج إحدى السيارات، لولا أن سائقها تفادى هذه البلطة في اللحظة الأخيرة.

بدأت الرمال في الظهور، وبدأت نفوسنا تتأهب للسياحة والتأمل.

-2-

كان زوجي معي – أين هو الآن؟ ستنفرج الأزمة قريبا بإذن الله. كثرةُ الاعتقال تولِّدُ الانفجارَ والسقوطَ. وَصَلَ الأمرُ إلى أسوأ السوء. فليُمْرِرِ الله أزمة الانهيار الوشيك على خير – كان معي وكان يقول لي:

- لا تخافي.

فهو بجانبي وأنا بجانبه. كان يحاول أن يطمئنني، ويقول إن الجبل – أو ما نسميه جبلا، فهو في الحقيقة مجرد

تل – لا يستدعي كل هذا الخوف؛ حتى وإن كان جبلا، لا يهم:

- إن كان شاهقا اليوم، فنحن في قمة "الشُّهُوقِ" وإن كان لا يبدو علينا ذلك.

أخذ الخوف يتسرب على إيقاع كلماته ولمساته من آن لآخر إلى أن تهيأتُ للصعود. وعندما تأملتُ الأشجارَ التي كانت تتسلق التلَّ كأنها ندٌ له، تيقنت من صدق كلامه وأنني بإمكاني أن أكون شجرة مثلها ونداً له حتى ولو كنتُ شجرة لولبية.

تذكّرت أبحاثي التي تقدمتُ بها للجنة الترقيات والخوفَ الذي كان يتسرب إليّ واهنا قبل الدخول إلى اللجنة، وتذكّرتُ "لجنةَ[1]" صنع الله إبراهيم.

وما إن دخلتُ وتيقّنتُ من أن أعضاءها كانوا يبيّتون النية في إرسابي وكأن أحدا منهم لم يقرأ شيئا مما كتبتُه أو استنتجتُه، أو أنهم قرأوه وفهموه فراودهم الخوف على

[1] رواية "اللجنة" للروائي المصري صنع الله إبراهيم. يمكنك تحميل الرواية من هنا:
http://www.4shared.com/office/q9S8OCs9/____.htm?locale=en

أقلامهم، زال الخوف من قلبي تماما وبدأتُ أنظرُ إليهم في شفقة ورثاء على ما فرّطوا في حق أنفسهم وما جنوه في حقي؛ فتحوّل خوفي إلى ثقة بنفسي وبأنني كنتُ على الطريق الصحيحة.

نظرتُ إلى التل في هدوء وكأنني تركت كل خوفي ودفنته في مقابر أعضاء لجنة الترقيات. وشرعت في أن أتسلَّقَ التلَّ في بهجة وحياة كأنني إحدى هذه الأشجار. وعندما كنتُ أنظر إلى ثمارها، كنتُ أحس بأن جسدي بدأ في التشكل كما لو كنتُ على أعتاب مُرَاهَقَةٍ ثريةٍ لا تبخل بوضع لمساتها الرقيقة على جسدي ونفسي وعقلي، كأنني نبتة كفّل اللهُ الصحراءَ بأن ترعاني.

وعندما نظرتُ إلى زوجي، وجدته يبتسم في وجهي ويدوس على ما تبقى لديه من خوف. أدركت ساعتها أن خوفه في البداية لم يكن أقل من خوفي، ولكنه تظاهر بالشجاعة ليدفعني للأمام حتى أتخذ خطوتي الأولى للصعود. يدوس على خوفه وهو يصعد التل أمامي أو بجانبي، إذ أن

ثقتي بنفسي ربما جعلتني أتهوّر وأنا أتسلق التل فأسبقه. ألمسُ يده في تفهُّمٍ، فتشاركنا الأشجارُ إحساسا بالتدفُّقِ والعُلُوِّ.

-3-

نندهش كل مرة نقف بسياراتنا أمام بوابة الدير، ونحن نتأمل الصليب المرسوم ببراعة تضارع براعة الرسوم على جدران المعابد الفرعونية، بالرغم من أن بعضنا لا يؤمن بفكرة الصلب أصلا. وما يدهشنا أكثر الامتزاجُ بين الصليب ومفتاح النيل، وكأننا سنلج النهر من أوسع ضفافه.

ينبِّهنا أحدُ الهواتف المحمولة بآذان العصر قبل أن نبدأ في الدخول إلى الساحة الأمامية المُعدَّة لاستقبال الضيوف أو الزائرين أمثالنا، ومنها نتفرق: الرجال إلى دير الرهبان والنساء إلى دير الراهبات.

يقول لنا الراهب مبتسما إن "الله جعل أرضَ الدير مسجدا وطهورا". نبتسم عندما ندرك مغزاه، فنحدِّد اتجاه القبلة بناء على بوصلة ساعة أحدنا، ويبدأ المسلمون منا في الصلاة على الحُصُر المفروشة في طرف الساحة. نصطف

نحن النساء في الصف الأخير كما جرت العادة، ونشرع في الصلاة كأن رحلتنا حتى الآن كانت دعاء متواصلا.

بعدما ينفصل عنا الرجالُ، نتجوّل في دير الراهبات. نقف أمام كل شجرة زيتون، كل نخلة، كل جميزة، كل نبقة، كل توتة، وكأن كل هذي الأشجار أصحابُ المكان ولا يسعنا أمام ما تمدنا به من تأمل إلا أن نقف تقديرا وإعزازا ووِدًّا.

نؤجل تأمُّلَ حقول القمح لوقت الآخر ونكتفي بنظرة من بعيد. نفرش حُصُرَنا وتتوسطنا كبيرة أو كبرى الراهبات – لا نعرف لقبها على وجه الدقة، لكن خجلا إنسانيا، ربما من جهلنا، يمنعنا من السؤال.

-4-

تميل عليّ راهبة وتسألني:

- كيف حال الحياة بالخارج؟

فأرد عليها:

- الحياة هي الحياة، فيها وفيها.

يبدو أن إجابتي لا تقنعها أو أنها كانت تنتظر مني ردا مختلفا. تنظر إلى جسدي، ثم ترفع عينيها إلى وجهي، ثم تصمت، ربما لتتدبر كلامي. تعاود السؤال بطريقة أخرى:

- كيف حالك أنتِ؟

أتحسس جسدي، لأتأكد من وجود بصمات قديمة ولكنها لم تفارقني أبدا، فأدرك مدى البتر. أتذكر لجنة الترقيات وأمن الدولة وزوجي الذي لم أره منذ سنين، وأكرر نفس الإجابة. وأجدها تخرج مني محمّلة بالمرارة أو الحزن أو الحنين، لا أدري، لكنني أحسها مختلفة تماما عن الإجابة السابقة بالرغم من أن الكلمات لم تتغير وكذلك الصياغة.

وأجدها تربت على يدي في تفهّم وكأنها تحسّ بما أحسّ به ولكن لأسباب مختلفة. تغيم عيناها وكأنها موجودة في مكان آخر، ثم تقول:

- كان الرب في عوننا جميعا.

-5-

نسأل الراهبة عن سبب بناء الدير بعيدا عن تلك القرى، فتقول لنا:

- نبتعد عن الحياة لنزرع الحياة.

وعندما تظهر على وجوهنا علامات حيرة قد تشي بطلبنا التوضيح تستطرد قائلة:

- الطريق إلى الحياة ليس سهلا كما يتصوره البعض. على المرء أن يسلك كل تلك الطريق ليصل إلى هنا. الطريق في حق ذاتها ذات معنى. من يسلكها يدرك كيف يتخلص من أطماعه وأحقاده وكلام المغرضين حتى يصير إنسانا يتعايش مع الآخرين في سلام.

نصفق جميعا دون أدنى اتفاق، كأننا بدأنا ندرك جزءا من مغزى رحلتنا وتوقُّفِنَا على الطريق من آن لآخر. تعاودني تجربة صعود التل وصورة زوجي واللجان المنتشرة في كل مكان وأول إحساس بلمسته وأول دفء عجيب كأنه السكينة وأول صفحة كتبتُها وقصيدة تغنيتُ بها

بالرغم من أنها تخلو من كل الموسيقى العبيطة التي لا تُحِسُّ بشيء.

أنتبهُ على صوت الراهبة وهي تحدثنا عن أنواع الزرع في الدير بالتفصيل وكيف أنها حياة موازية ولكنها لا تبتغي إلا وجه الرب الذي قال: "أعطوهم أنتم ليأكلوا ... إنني أشفق على الجميع" و"كل من سألك فأعطه". وأخذتْ تتكلم عن صحراء مصر وسِيَرِ الراهبات والرهبان فيها وقصة بهاء طاهر "أنا الملك جئت"[2] ورواية "السيميائي"[3] لباولو كويليو.

توقعتُ أن تحكي عن "خالتي صفية والدير"[4] لبهاء طاهر أيضا، لكنها تتحدث عن "المَلِك الذي سيجيء"[5] وكأنها تتحدث عن قصة لزوجي قد أستطيع أن أنشرها قريبا إذا

---

[2] يمكنك قراءة قصة "أنا الملك جئت" لبهاء طاهر في مجموعته القصصية التي تحمل نفس العنوان من هنا (وهي في الواقع رواية قصيرة بمعيار الوقت الحالي: http://www.4shared.com/office/D_cA-BwQ/_-_.html

[3] يمكنك قراءة رواية "السيميائي أو ساحر الصحراء" لباولو كويليو من هنا وترجمها بهاء طاهر ترجمة رائعة إلى العربية: http://www.4shared.com/office/vVlXZpC1/_-_.html?locale=en

[4] يمكنك قراءة رواية "خالتي صفية والدير" من هنا:
http://www.4shared.com/office/Fx64lev4ba/_online.html

[5] قصة لجمال الجزيري نُشرت في مجموعته "اشتعال الأسئلة الخضراء" (2011) ويمكنك تحميل المجموعة وقراءتها من هنا: http://www.4shared.com/office/54trEOWj/_.html

توفّر لديّ المال لطباعتها على حسابي، فسلاسل الهيئات الحكومية إما أن يظل كتابك في أدراجها حتى يضيع، أو أنها تنشر للمقرَّبين وغير المغضوب عليهم.

تَذْكُرُ كبيرةُ الراهبات مثالا من هنا ومثالا من هناك، ثم تعود إلى الوقت الحاضر لنجد أن الدير يفوق عشرات الجمعيات الخيرية وعشرات المصانع التي لا تبخل على أي من أبناء الوادي في الأسفل بأية مساعدة.

-6-

تطول نظرةُ الراهبة إليّ، فأحس بالحرج والارتباك. لا أحب أن يطيل أحدٌ النظرَ إليّ بهذه الصورة. ربما أسعد بنظرة عابرة إليّ أو حتى متلصصة، فمعناها على الأقل أن هناك أحدا يهتم بأحد، أو أنني مازِلتُ موجودةً وسط الحياة رغم كل شيء، أو أن الحياة التي فيّ تُلْفِتُ انتباه "عشّاق الحياة[6]" في فيلم "المصير" برغم ما ينمو من موت. لكن طولَ النظرة قد يجعلني أشكُّ أنني مختلفة أو غريبة أو أنني

[6] يمكنك سماع أغنية "عشاق الحياة" لمحمد منبير من فيلم "المصير" (يوسف شاهين: 1997) من هنا:
https://www.youtube.com/watch?v=wDpj74ELbfs

لست من هنا. ومع ذلك لا أجد حرجا في أن أكلمها في الموضوع صراحة. أجدها تبتسم، ثم تربِّتُ على يدي كأنها تقول لي: "لا تقلقي". ثم تباغتني بسؤال:

- هل أنت زوجة فلان؟

- وكيف عرفتِ؟

(أقولها دون أن أحاول أن أخفي دهشتي أو الشعور الخفي بالغيرة الذي تسلل فجأة إليّ من جرّاء سؤالها المباغت)

- مجرد إحساس.

- وهل تعرفين زوجي أصلا حتى تحسي بأنني زوجته؟

- اشتركنا في بعض الندوات قديما ضمن برنامج "حزب الأرض المدنِيَّةِ" وأراني صورتَكِ.

(أحس بأنني في عالم غير العالم. أفكر في أن أسألها عن علاقة راهبة ما بالحزب، لكنني لسبب لا أعرفه لا أسألها شيئا، أو أنني أدرك مدى عمق العلاقة بالأرض والمدنيَّة

والحزب فلا أود أن أسأل سؤالا غبيا يُظهرني بالجاهلة أو المتسرعة التي لا تتدبّر ما تقوله)

- بالطبع تعرفين أن هذا الحزب محظور الآن.
- أكيد. وإلا ما كنتُ جئتُ إلى هنا.
- نعم!

(أقولها باستغراب دون أية إضافة أخرى، فنبرتي كافية للتعبير عن طلب الإيضاح)

- كنتُ سأكون مثل زوجك خلف جدران المعتقلات. أشكر الرب أنني جئت إلى هنا لأواصل حياتي، ولكن بأسلوب مختلف.

لا أدري إن كنتُ أنا التي بدأتْ أم هي، لكننا لا نملك إلا أن نتعانق كأننا وجدنا أنفسنا بعد غياب. لكن جزءا من عقلي يقول لي احضنيها بقوة لتتبيَّني إن كانتْ بصماتُ زوجِكِ عالقةً بجسدها. لا أعثر على شيء، فيزداد اطمئناني وأحضنها من جديد، كأنني اكتشفتُ صديقة جديدة أو وجها يعرفه زوجي.

-7-

تنادي راهبة ما على كبيرة الراهبات، ربما كانت مساعدة لها. وعندما تعود، نجدها متغيّرة الوجه كأن همّا عظيما جثم على صدرها فجأة:

- لجنة حريات دينية هبطت على الدير كأنها العاصفة الهوجاء التي تستهتر بكل شيء.

في الحقيقة لم نسمع بهذه اللجنة من قبل، فأبعد ما نتصوره أن تكون في الدين لجان مثل لجنة صنع الله إبراهيم أو لجنة الترقيات، لذلك نبادرها جميعا بالسؤال عن هذه اللجنة، وإن اختلفت نبرة السؤال ما بين معجب وما بين مستنكر. فتبدأ في الكلام بأسى عن الهيمنة الأمريكية ولجان تقصي الحقائق المزوَّرة وحرب العراق:

- وكأن أمريكا تنقصها الهيمنة فأرسلت سيّاحا يقولون إنهم لجنة من الكونجرس لتراقب ما نحن فيه، وكأنهم في بيوتهم وعلى أرضهم، لا على أرض لدولة أخرى ذات سيادة.

أتذكر الأمريكان الذين يدخلون بتصاريح مترجمين ثم يقومون بالإرشاد السياحي وكأن بلدنا لا يعرفها غيرهم. لا أستطيع أن أمنع نفسي من التعليق قائلة:

- ربما سمعتْ عن النهضة الاقتصادية في الدير فأرسلتْ لجنةً تفتيش على مزارع القمح.

تقهقه كبيرة الراهبات برغم ما بها، وتلقي نكتة لا تخلو من مغزى مباشر:

- ربما طمعَ أقباطُ المهجر فيما ننتجه في الدير!

ثم تندد "بوضع الملف القبطي في إطار ديني":

- ليست مسألة أقباط أو غير أقباط. ها نحن جميعا سويا في هذه اللحظة وعلى الدوام. المسألة مسألة هل يأخذ أحدٌ حقوقَه أصلا أم لا؟ هل يفهم أحد معنى الوطن أصلا؟ مَن قتل شهدي هو نفسه جلاد سيد قطب كما يقول نجيب سرور.

يدهشني تحول نبرتها من النبرة الصوفية في كلامها السابق عن الطريق والحياة إلى النبرة العملية الواقعية جدا

هنا، وإن كان كلامها الأخير ينتهي ببيت شعر لنجيب سرور ليربط كلامها كله في سياق واحد. أتذكر زوجي. أتذكر الراهبة. أتذكر رجال الأمن عند الترعة وسياراتنا التي أسرعنا بها خوفا منهم ومن بطشهم. نلتفت إلى بعضنا بعضا، فنعلق ساخرين على لجنة الحريات:

- ما معنى الحرية؟
- الواحد كأنه لم يعد يدري شيئا.
- أهي لباس؟
- بل هي إحساس.
- هي الطين.
- هي الأرض
- هي ذلك النهر الذي يمتد بطول الوادي في الأسفل.
- وهي هذه الصحراء المترامية والخضرة التي تلفت الانتباه لنفسها.
- يبدو أنهم لم يتعلموا شيئا من تجربتهم بالعراق.

- ولن يتعلموا شيئا على الإطلاق ماداموا يضعون نظاراتهم على عيون كل الشعوب.

- "يا ليت قومي يعلمون"!

- ورجال الأمن لا يفلحون إلا في تهييج الناس.

- الغباء له ناسه.

- والعمى له ناسه.

- يقولون إن شارع الهرم اليوم ظل مختنقا بالمرور لساعات.

- ألم يفتتح الرئيس الكوبري العلوي!!

- ومع ذلك! يقولون لجنة حريات!

- أتدرين؟! لو كانت تتبع مجلس الشعب، لأحسسنا بها على الأقل وتفهمنا ظنونها.

- يقولون إن المجلس سيُحَلُّ.

- وحتى لو رُبِطَ!

- لكن سحرة فرعون ماتوا جميعا!

- في هذه الحالة سنضطر إلى استيراد سحرة ليفكوا الربط.
- هاهاهاهاها.

يدور الكلام على الألسنة، ويخرج كل منا ما في رأسه بعفوية كأننا في احتفال كرنفالي، فنبدأ ندرك كلام كبيرة الراهبات عن الحياة المزروعة بعيدا عن ضوضاء الوادي وفرعونية السلطة وكل اللجان.

يُخْرِجُنَا من اندماجنا صوتُ الراهبات والصواني المحملة بالطعام. نتناول العشاء سويا بنَهَمٍ في جَوٍّ لا يبخل فيه القمرُ ولا النجومُ بشيء. يبدو أن الجو الشاعري يطلق الألسنة، فها نحن نتسامر بحكايات مصرية تتولد بتلقائية من هنا وهناك وكأنها ألف ليلة وليلة.

تستأذننا كبيرة الراهبات في أن يتم تصوير جلستنا بالفيديو حتى تُخرس بها صوت اللجنة، وتُوصِلَ من خلالها رسالة لمن يزعمون أنهم يتكلمون بأصواتِ مَنْ بالداخل. وإذا تعرّض الدير لمساءلة حكومية أو كنسية لأنهم لم يرحّبوا

باللجنة، يمكنهم أن يقدّموا شريط الفيديو دليلَ براءة. تقولها بسخرية، خاصة عندما تنغّم نطقها لعبارة

- شريط الفيديو دليل براءة

كأنها تسخر من الأمر كله، أو تضيف فاصلا من التعليقات فيما بين حكاياتنا.

تتطوّع صحفيَّة بيننا بتغطية الرحلة كلها في جريدتها، على طريقة أهداف سويف عندما ذهبت إلى فلسطين، ولكن بأسلوب مختلف، فنضحك جميعا وكأننا محاربون في فيلم أجنبي نجلس في وقت إيقاف إطلاق النار لنتبادل الحكايات الشخصية والذكريات والأحلام المستقبلية في فترة ما بعد الحرب.

-8-

وحدي أنا، لا أحد بجانبي ليقول لي شيئا، وكأن أذني لقيطة لا يحق لها أن يرعاها كلامٌ أو همسٌ أو لمسةٌ رقيقة. وبالرغم من الأسياخ الهجينة التي زرعوها في جسد تلٍّ كان صديقا، تلٌّ صلبوه بالأسياخ كي يجعلوه جبلا، أحس ببصمات

زوجي مازالت واضحة على هذا التل، كأنه كان هنا بالأمس معي، مع أن السنوات تفصلنا كأنها مبنى مُعْتَقَلٍ ضخمٍ يمتد في كل أرجاء الصحراء الواعدة.

تتلمس بصماتي بصماته، فأحس بأفرع الأشجار التي تتسلق التل كأنها تَذْكُرُنِي وتَذْكُرُهُ، تلمس أقدامي في حُنُوٍّ فتسري في أوصالي رعشة الخوف الأولى، وعندما أتذكر كلماته، ألقي بوجه لجنة الترقيات من على التل لتتساقط على وجوه الأمن المتحفزة أسفله (التي كانت تتوقع سقوطي) فيسيل الدم منهما وتختلط الدماء كأنها نفس الفصيلة.

أشتمُّ حركة الراهبة بجانبي كأنني ما تركتها منذ سنتين هناك في الدير، وهي تنظر لي نظرة رجاء أو عطف. لا أستطيع تحديد مغزى نظرتها التي لا تفارقني وكأنها جزء مني أو كأنها نظرته. وأجدني أقوم بدوره معها وأشجعها على الصعود وسباق أفرع الأشجار المتسلقة التي تعاند الصخور والرمال والجفاف. أشعر بالغيرة عندما تبدو لي

بصماتي على يديها كأنها بصماته. لا تخطئها لمستي بالرغم من فارق التوقيت وفارق المكان وفارق التجربة.

تحكي لي. أسمعها جيدا، وبالرغم من اختلاط التجارب وما تحكيه عنِّي، لا أستطيع تمييز حروف تجربتها عن حروف تجربتي، وكأن جلستنا على الحصيرة وسط الدير والجُّمَلَ القليلة التي كنا نتبادلها بين لحظات الصمت كانت كافية للتعبير عن الكثير بأقل القليل.

تعاودني كلمات كبيرة الراهبات عن الحياة المزروعة في الدير الذي بوسط الصحراء بعيدا عن الخضرة ومصالح الناس التي لا تميز العام عن الخاص. يمتد شريط كلماتها أمامي وفوقي على التل الصاعد بانبطاح تدريجي.

لا أدري لماذا تختلط ملامح كبيرة الراهبات بملامح زوجي الغائب خلف الجدران والأسوار... كلاهما كان يزرع الحياة. لكن كبيرة الراهبات مازالت حياتها تمتد لتطعم آخرين. وحياة زوجي التي كان يزرعها بَتَرَهَا رجالٌ هبّوا فجأة على باب الحياة فبتروها في أولها وأخذوه وتركوني

وحيدة وتركوه وحيدا، تفصل بيننا الأماكن ودرجات العذاب ولحظات التأمل المختلفة.

كان زوجي يقول لي:

- الحياة تمتد من داخلنا – إذا تمكَّنت منا أو تمكَّنا منها – إلى خارجنا لتَهِبَ الآخرين نفسَها دون أن نحسَّ بالنقص أو البتر؛ فإذا توقَّفتْ داخلنا ولم تمتدّ لابد أن يموت أحدنا.

وأجد أنفاس الحياة فيّ تتضخم وتنمو لتمتد إلى الراهبة المتسلقة بجواري، وكأن كلا منا يحاول أن يتبارى للفوز بشيء يوزعه فيكفينا جميعا، وتهبني هي لحظةَ تَأَمُّلٍ أنا في أمسّ الحاجة لها؛ أتذكَّرُ قمح الدير، ومتعة السياحة فيه، وكيف أنه لم يوضع على الخريطة السياحية؛ أتذكر كلمات الرب التي قالتها الراهبة؛ وعندما تَرِدُ على ذهني لجنة الترقيات أزيحها عامدة، ربما لأنها تختلط بلجنة الحريات الدينية، أو لأنني أتذكر نصر حامد أبو زيد وكيف أن لجنة الترقيات تحولت إلى لجنة "حريات" دينية يمارس فيها

الأعضاء حرياتهم الهمجية في القضاء على حرية من المفروض أن تكون عادية.

أتأمل كل لحظة مرت بنا هنا، وكأن السنين التي تفصلنا أبعدتْ نفسَها عن طريقنا وامتدت اللحظاتُ القديمة إلى الآن دون أن تجتثَّ ما أنا عليه أو تقتلَ حاضري، فبرغم البعد مازِلْتُ قادرة على الحياة، مازلتُ قادرة على العطاء والصمود برغم البتر، مازلتُ قادرة على تذكّر كل لحظات توحُّدِنا سويا أو مع الآخرين، مازلتُ أحسُّ بأنني سواءٌ وهذه الأشجار التي تتسابق لبذر بذرة حياة في أعالي التل.

عندما أنخرطُ في تأمُّلِي وفي استرجاع لحظاتي معه، يتباعد طيف الراهبة لتسلك دربا خاصا بها، وإن كان يتقاطع مع دربي. تَبْعُدُ ملامحُ وجهها وكأن الملامح التي تحاول أن تستعيدها لا تنتمي للحظة الراهنة مثلي، وإن كانت هي كاملة الحضور، أمامي وفي حد ذاتها، أراها قمحا، وأراني قمحا، يكفي الجميع، فأتذكر سيدنا يوسف والسنين العجاف، فأتساءل: كم من العمل المتواصل يكفي لنملأ بالخضرة سويا

الأرضَ المُخَرَّبَةَ في الوادي؟ وكأن لحظات الزمن تتقاطع وتمتزج لتحدثنا عن النهوض وتستحث خطواتنا جميعا للأمام في تناغم لا يستبعد أحدا، تناغُم بلا لجانٍ.

وكأن الراهبة تجد صعوبة في التذكّر وصعوبة في الابتسام، فتعرج إلى تأمُّلِ دربها الخاص، تخاطب الريح، تتلمس جسدها، تترك يديها وقدميها لهمس الأوراق الخضراء. وعندما تعصف بها التناقضات، أحسُّ بها تتذكر المغزل والأشجار التي تنتظرها بالدير والأيقونات التي تتفنن في تشكيلها، تتذكر الماء الذي تروي به الأشجار من البئر، تتذكر جلسات الزائرين والزائرات على الحُصُرِ وسط الدير، تتذكر الراهب الذي أبعدت لمساته عندما فاجأها، مُفَضِّلَةً أن تحتفظ ببصماتٍ قديمة في ذكرى وحياة تثري حياتها الأخرى، تتذكرني، وتتذكر زوجي، تتذكر الحزب والأرض، تحنُّ إلى المدينة، تحن إلى نفسها، لكنها تتذكر أيضا أن حياتها ذات معنى، لم تنعزل، لم تتقوقع، فقط اتَّقت المعتقلَ بالحياة، كأن الدير حزبٌ يترك بصمته على الآخرين.

وأجدني أتأملها بالرغم من ابتعادها كأنني أتأمل ذاتي، فازداد ثراء وإحساسا بالأحاسيس الجارية في مجرى دمي، وكأن نهر النيل ينبع من قلبي، فلا يستطيع قُرْصَانٌ أن يستولي على حصة أرضي، أو يساومني على سدود، ينبع من قلبي أنا ويصب في أطرافي ليروي الحقول على تخوم يديّ وقدميّ، فابتسم وأواصل الصعود دون أن يغيب عن أذني صوت زوجي عندما كنا هنا سويا منذ سنين.

أغسطس – سبتمبر 2009

لمسة نهائية

كان يسير وحده في الشارع المؤدي إلى الطريق السريع وكانت الأضواء ساطعة. عندما أحسستُ بالدم يتدفق في شفتيَّ، أخذتُ أتقلب بالقرب منه وأتنطط كقرد وأنكش شعري الطويل وأشدُّه أمامه. أصدرتُ أصواتا غريبة علَّه يجري بعيدا أو يبعدني عني، لكنه نظر إليَّ بشفقة أو تأفف ولم يفزع. كان قلبه حجرا وأعصابه حديدا. حاولتُ أن أسحب نفسي بعيدا عنه، لكنه نظر إليَّ من جديد. شممتُ رائحة خوف فاترة نابعة منه. استبشرت بخوفه، فربما دفعه للهرب، وإذا هرب سيخلصني من عذاب سيلاحقني باقي الليل وطوال النهار إلى أن أنسى قليلا عندما يواجهني شخص آخر في الغد.

تحسستُ الأرض بقدمي وعندما لمستُ حجرا صغيرا، ملتُ والتقطته وأصدرت صوتا زاعقا صاخبا متداخلة طبقاته لكي يجسِّد حوله موسيقى مرعبة. حرصتُ أن ينزل الحجر بالقرب من قدميه، فلا يشج رأسه أو يسقطه فاقد الوعي، فإذا

فقد وعيه سيصعِّب مهمة انتزاع نفسي من شفاهي. لكنه رفع قدمه كبهلوان يتفادى السقوط في حفرة وهمية ولم يبالِ بتخويفي له.

أحسستُ بالشفقة على ذلك الذي يتعمَّد أن يسير على طريق هلاكه إلى منتهاه. وعندما لم أجد استجابة منه، جريتُ بضعة خطوات لأكون ملاصقا له. ضخَّمتُ صوتي أكثر من المعتاد وقلت له:

- ابتعدْ.

لم يبتعد.

- تجنَّبْ خَطَرِي أرجوك.

لم يتجنب شيئا.

- سآكلك. سأشرِّد أطفالك.

نظر لي بحسرة وكأنه يقول لي: "ليس لدي أطفال".

- ابتعدْ. سأشرِّد أهلَكَ.

نظر لي مرة أخرى بسخرية كأنه يقول لي: "هم مشرَّدون أصلا".

- سيتقطَّع قلبُ أحبابك.

ردَّ عليَّ لأول مرة:

- المهاجرون لم يتبقَ في قلوبهم شيء. هل تستطيع أن تجتثَّ الذكريات؟

كان في سؤاله نبرة تحدٍ كأنه يدعوني لأن أفعل شيئا لا أقدر عليه. قلتُ له على الفور كي أزرع في قلبه الرهبة مني بلا مقدمات:

- أنا لا أستطيع حتى الآن سوى أن أجتث الأرواح. الذكريات ليس لي شأن بها، والمهاجرون هاجروا. أنا هنا، أنا في هذا الشارع الذي اسْتَدْرَجَكَ، أنا في ليل طويل أوله دم وآخره ندم ونهار مليء بذكريات الدم والندم، فلا أستطيع أن أخلِّص نفسي من ذكريات أسناني، ولا أستطيع أن أوقف أسناني عن طعم اللحم بدمك الحار.

ووجدته يربت على كتفي. أحسستُ في حركة يده تفهُّمًا ومواساة وثقة لا حدود لها. استجمعتُ كل قواي وأبعدت أسناني عن طريق يده الساقطة من على كتفي. فكَّرتُ أن أرد له تفهُّمه بحركة من يدي على كتفه، لكنني خشيت أن تقبض يدي على كتفه الآخر وتنغرز أسناني في رقبته لتنتزع حياته بنشوة كأن الإحساس بالنشوة تقدَّمَ على غرز الأسنان، تقدَّمَ على القبضة المهلكة، ليصير مجرد أثر لاحق أو مجرد إجراء روتيني للمسة نهائية لعملية تمَّتْ بالفعل.

عندما بدأت أطرافي تشعر ببوادر النشوة، فكَّرتُ سريعا في طريقة أجعل بها هذا الإنسان الحجري يبتعد عن طريقي، طريقة يعفيني بها من الندم، يعفيني بها من الذكريات الدموية، يعفيني بها من تاريخ أسود يطاردني في الفواصل بين الإحساسِ برغبة شفتيَّ ولساني بالدم الحار والإحساسِ به في ليلة تالية. تمنَّيتُ أن أكون في فيلم مصاصي دماء وأن يطول الشارع إلى أن تشرق الشمسُ فأحترق أو أختفي. لكن الشمس لا تعاديني، ولا أعاديها، وليس لي خيالُ تلك الأفلام. وأي فيلم يطول إلى هذا الحد؟!

يبدو أن ذلك الكائن هو الذي كان يتعقبني، ولستُ أنا الذي أتعقبه. يتلكأ كأنه يستمتع بلهفة أسناني على أن تنغرز في رقبته؛ يتدرَّج على مهل في عرض نفسه لتفتتن أسناني به.

كان أرَقِي قبل أن أخرج للشارع لا حد له. نظرة أمي المشفقة وهي تفتح باب غرفتي لتنظر إليَّ وهي تعرف أنني لن أنطق بكلمة واحدة تروي لهفتها لسماع صوتي – كانت هذه النظرة تؤجج ألم ذاكرتي وذاكرة ألمي. تمنيتُ أن أسمع صوتي داخل البيت حتى أُسمِعَه لها، لكنه كان يخذلني دائما. وكانت ذاكرتي تُوقَف بعناد أليم عند سيارةِ ميكروباص منذ قرابة ثلاثين عاما وعند صراخِ تلميذ انحصر كل كلامه في أصوات لا معنى لها فيما بعد. لا يُخرج لساني صوتا مفهوما إلا عندما أكون وجها لوجه مع شخص في شارع مهجور بالليل، ولا تتجسَّد كلماته عذوبةً إلا عندما تودِّع الشخص الهارب من أمام أسناني.

إنسان بلا أطفال، بلا زوجة، وأهله متفرقون وأحباؤه مهاجرون، ما الذي يمكن أن يجعله يتحرَّك؟ أحسستُ بأنه لن

يتحرك أبدا أو يبتعد عن طريق هلاكه وطريق عذابي، وكأنه يتعمَّد أن يقطِّر الألم المُرَّ في قلبي ورأسي على مهله، ولذا لم أسأله عن اسمه، فإن قتلته اليوم يكفيني إحساسي بتعذيب روحه المفارقة لي. لن أضاعف حجم العذاب بمعرفة اسمه، فسيكون اسمُه بديلا عنه، حاضرا في أذني ليل نهار.

لم أسأل من قبل أحدا عن اسمه إلا بعدما كنت أتيقن من أنه ابتعد عني بما يكفي لأن أراه في طريقه إلى الهرب، أراه في حدود الأمان. كل تلك الأسماء تخفف عني ولو قليلا من الذكريات التي تطاردني، من إحساسي بوطأة نَفَسِي الضائع وأمنياتي المستحيلة.

كيف يمكنني أن أسير في يوم من الأيام في شارع هكذا مع إنسان لا تجمعني به سوى المشاعر المسالمة والأحاسيس الدافئة التي تخلو من طعم الدم؟ أثقل من كل تلك المجرات أنا! لو فقد هذا الشخص كل عزيز، لن يساوي كل حزنه ذرةً من ندمٍ، لن يساوي حزنُه قطرةَ برودةٍ تَعْقُبُ الإحساسَ بحرارة الدم، ذرة خواءٍ تضاعف الإحساسَ بالضياع.

كانت ذاكرتي تبدو كأنها توقَّفَتْ ولم تعد تتذكَّرُ شيئا قبل ذكريات الدم الحار وإحساسي بالندم. ما الذي أوصلني إلى هذه الحال؟ ما الذي دفعني لذلك؟ لست أدري، وعدم معرفتي ألمٌ يضاف إلى ألمي، وإحساسي بالجهل يغويني كل يوم بمحاولة مزمزة الدم الحار لأعرف ما الذي يجذبني إليه، أو إن تعمقت في الإحساس به ربما أستطيع أن أحس بنقيضه فتكتمل معرفتي وأستطيع أن أفتح حاجز الذاكرة ليرجع بي إلى ما دفعني. فإن تمكَّنتُ من أن أتوصَّلَ إلى طريقة لأوقف بها نفسي، ربما استطعتُ أن أتوقف. لكن نفسي لا تريد أن تتوقف، كأنها تتآمر على ذاكرتي، أو كأنها رَشَتْها وجعلتها تتوقف عند هذا الحد.

خمَّنتُ أن يكون تفكيري الطويل في الموضوع قد أزاد المسافة بيننا. لكنني وجدته بجانبي نسير على الطريق كأننا نتجه إلى جهة نعلمها سويا. كانت خطواتي تدفعني. كنت أريد أن أسحبها لكنها لم تترك لي فرصة، وكانت تسوقني كسائق ميكروباص يستفرد بتلميذ عائد إلى بيته من المدرسة، لا ينزله عند بيته، بل يغلق أبواب السيارة ويسير دون أن

يبالي بصراخه ولا يتوقف إلا في طريق مهجورة ليخلع بنطاله ويغرز سكينا أو أسنانا في أسفل ظهره ليتدفق الدم حارا كلسعات عصا مدرِّسٍ.

عندما وجدت نفسي مازلتُ بجواره، قلتُ له:

- انظرْ يا...

وكاد يقول لي اسمه، لكنني وضعت يدي على فمه مانعا إياه من الكلام:

- لا أريد أن أعرف اسمك إلا إذا رأيتُك تجري أمامي هاربا.

قال لي بكل برود:

- ولماذا أهرب؟

لم أجد أمامي إلا الحقيقة العارية أصدمه بها كي يسارع بالهرب وأتخلَّص من عذابي له وعذابي منه:

- أنا مصَّاص دماء.

أخذ يضحك بهستيرية غريبة، ثم أحسستُ في صوته نشيجا كأنه يريد أن يبكي أو ينفجر، ثم قال:

- لم تترك لنا الحكومة دما كي يمصه أحد.

لا أدري لماذا أُصِرُّ على عدم المساس به. أخذ وقتا أكثر مما يجب. لم يرهقني أحد من قبل هكذا. لو يحس بعذابي، بالمجهود الجبار الذي أبذله لكي أمنع أسناني من أن تفتك برقبته، لكان أشفق عليَّ. لكنه ظل على عناده، فأعدتُ عليه كلامي ولكن بطريقة أخرى:

- حتى لو لم يتبقَ لديك دماء، ستنغرز أسناني في رقبتك ويمتص لساني ما تبقى أو أي شيء حلَّ محل الدماء. أرجوك أرجوك أرجوك أرجوك ابتعد.

ولكنه قال:

- جاءت منك يا جامع.

استغربتُ كلامه ونَفَيْتُ على الفور ما يخاطبني به:

- لستُ بجامع.

ضحك عاليا، وقال:

- يبدو أنك ستأخذ فيَّ ثوابا. أنا لا أؤمن بالانتحار. ولكن لم يتركوا شيئا لأبنيه أو أرضا لأزرعها أو صوتا لأستثمره.

لم أشعر من قبل بأنني أؤدي واجبا لأحد أو أن عذابي مهمة عظيمة يمكن أن تخدم أحدا، ولا أستطيع أن أخمِّن: هل ما سيحدث بعد ذلك سيزيد عذابي وألمي أم لا؟ أن أجتثَّ حياةً خدمةً لأحدٍ! كنت طوال تلك السنوات أخدم نفسي، أخدم إحساسا بالنشوة الفوَّارة يسبق اندفاع الدم ليس أكثر. لكن هل إن غيَّرتُ الهدفَ من وراء ذلك سيتغيَّر الإحساسُ؟ احتمال وارد. يمكن أن يتغير إحساسي بالنشوة ويمكن أن يزداد عذابي وندمي، فقلتُ له:

- انظر يا أيها العنيد الذي لا أريد أن أعرف اسمه. أنا لا أساعد أحدا على الانتحار. أريدك أن تساعدني على أن أبتعد عن قتلك، لا أن أساعدك لكي تنتحر.

انظر. ها هي يدي. سأريك كيف يتدفق الدم حارا.
إن أكلتُ يدي هذه، أرجوك ابتعدْ.

لم أستطع أن أصل إلى رقبتي. غرزتُ أنيابي في إصبع يدي. لم أحس بطعم الدم ولم أحس بأية نشوة. غرزت أنيابي أكثر. لم يتغير شيء. انتقلتُ إلى كفِّي وغرزتُ أنيابي حتى أحسستُ بألم كنتُ أدرك أنني أحسسته من قبل، لكن ذاكرتي كانت تتآمر على استرجاعه.

عندما وجدني أنتقل إلى باقي يدي، بحث حوله سريعا وأمسك بحجر في غمضة عين وقذف به وجهي. أحسستُ بأنه يضع لمسة نهائية تنزع الموت من أسناني. كان آخر شيء شعرتُ به أن الألم شديد وأن الدم لا طعم له وأن أسناني تتكسَّر فأحسستُ بفرح وليد وأنا أترنَّح ويسارع جسمي إلى السقوط على الأرض.

15 ديسمبر 2010

كيدُ الرجالِ

بالرغم من إرهاقي الشديد بسبب كثرة التنقل بين وسائل المواصلات وازدحام الشوارع، جلستُ على أول مقهى عندما نزلتُ من الأتوبيس بالقرب من البيت. أحسستُ بأن بعض الأبيات النثرية لا تريد أن تكف عن الصخب في رأسي، خاصة وأن أذني التقطت في المواصلات الكثيرَ من الأصوات المتنوعة المفعمة بالحياة والتحمُّل برغم الألم والمعاناة.

سحبتُ نَفَسًا من الشيشة وأتبعته برشفة من كوب الشاي الساخن وأخرجتُ ورقة من جيبي، بادئا في الكتابة. سمعتُ صوتا يسألني عما أكتبه. رفعتُ وجهي نحوه. لم أتبيَّن ملامحه. قلتُ له باستغراب أو استنكار:

- نعم!

ردَّ عليَّ بنبرة حيادية:

- ماذا تكتب؟ أنا من أمن الدولة.

كتمتُ نبرة ساخرة ولم أقل له: "لستَ أنت الوحيد الذي تكتب، لكنني لا أكتب التقارير". رددتُ عليه محاولا المرح:

- يعني أمني أنا. ألستُ جزءا من الدولة؟.

قال:

- التزمْ الأدب وإلا أخذتُكَ إلى مكان لا تعرفه.

نظرتُ إليه نظرة حيادية تماما، قائلا:

- انتهى عصرُ الطوارئ وكلنا نكافح الإرهاب.

أعاد سؤاله كأنه لم يسمعني:

- ماذا تكتب؟

فقلتُ له بكل هدوء:

- بالرغم من أنها حرية شخصية ولا يحق لك أن تسأل، سأقول لك إنني أندد بالإرهاب. هل تستطيع أن تقول شيئا؟!

مد يده ليسحب الورقة، لكنني طويتها في يدي على الفور، وهممت صارخا:

- يا ناس، يا جماعة، هذا الرجل يريد أن يجعلني من قوم لوط.

وأخذتُ أتأمل الأيادي التي انهالتْ عليه من كل اتجاه، دون أن يستطيع أن يتكلم أو يَفْلِتَ من قبضتهم.

23 يناير 2011

الأعراف

- ينبغي أن تحضروا حقائبكم قبل موعد السفر بيوم، لا مجال للتأخير، المواعيد مضبوطة، الحملة برعاية الأمير بندر بن خالد، لن تكون هناك مضايقات، كل عام هكذا، اكتبْ اسمك على حقيبتك ورقم الباص، الموعد بعد صلاة العشاء مباشرة، تُحْرِم في بيتك، لن ندخل الميقات...

يتوافد الحجاج، لا تَحَرُّكَ، فقط الانتظار. يلصقون اللافتات التي تحمل اسم الأمير على واجهات الباصات، من ذا الذي يستطيع أن يمنع "الباصات" من المرور؟! اسمه كلمة السر، لها فِعل السحر...

نجلس في الأتوبيسات، يوزع أحد الرفاق كتاب "افعلها ولا حرج" لسلمان العودة، قدر من التفهم والتسهيلات لا بأس به، هكذا الدين يسر، لا حرج إن شاء الله.

- النساء في الخلف يا حجاج بيت الله.

- معنا أطفال، لابد من وجود الآباء والأمهات بجانبهم.

- لن يتحرك الباص قبل أن ترجع النساء للخلف، نعرف عادات بلادكم، لكنكم لابد أن تتبعوا عاداتنا هنا، لا نساء بجانب رجال.

نبدأ في التحرك، نقترب من محاذاة الميقات:

- اللهم لبيك حَجًّا.

يلفت انتباهنا رفيق، لابد أن نضيف:

- وإن حبسني حابس فمحلي حيث حبستني.

يلكز ابنه كي يقولها:

- يا ابن الـ... قلها، لن نستطيع أن نذبح ذبيحة عن كل فَرْد.

وإن حبسني حابس، نلبي في طريقنا إلى نقطة التفتيش:

- لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

تتباطأ حركة الأتوبيسات، تكتظ نقطة التفتيش بالأتوبيسات ورجال المرور أو الشرطة، لا تستطيع تمييزهم، يشيرون بأيديهم للأتوبيسات بالتوجه يمين الطريق، تقف متراصَّةً، يطلبون التصاريح، يُخْرِجُ السائقون تلك الورقة التي عليها خاتم لأمير:

- يسمح لعدد ... بالمرور لوجه الله.

إذن تبرعنا بأموالنا لوجه الله، لسنا محتاجين، وأموالنا استلموها قبل كل شيء، قبل صور الإقامة، الصور الشخصية، إيصال التطعيم ضد الحمى الشوكية، لا بأس، المهم النية، دفعنا أموالنا بنية الحج، لا بأس، يشيرون بأيديهم للأتوبيسات أن تدور راجعة، تقف في الجهة اليسرى في انتظار بعضها البعض، يتهافت علينا الأَدِلاءُ، مرشدون، يعرضون إرشادنا عبر الطرق الفرعية في الصحراء، لكن سائقي الأتوبيسات لا يستمعون لهم، لا يرغبون حتى في معرفة الثمن.

تسير الأتوبيسات في طريق العودة إلى أول دوران قبل الميقات، ثم تدور نحو نقطة التفتيش مرة أخرى.

يعيدها أولئك الرجال من جديد، تعود إلى محطة الفريدي في المنتصف:

- سننتظر هنا إلى موعد تغيير الوردية، إن شاء الله سيسمح لنا ضباط الوردية الجديدة بالمرور.

- لِمَ لا تتصلون بالأمير؟

لا يتحرك أحد.

- لو اتصل به أحد الآن في هذا الوقت المتأخر لن يرد.

- كيف يكون الأمير في القصيم ويرعى حملة في المدينة المنورة؟

- لو كانت الحملة تتبع أميرا لسمحوا لها بالمرور!

أولى خطوات النصب، نحن الذين نستأهل كل ما يجرى لنا، نحن الذين استرخصنا، 1500 ريال، ليست

رخيصة أبدا، فنقص السعر يقابله نقص في الخدمات، لا مخيمات لنا في المزدلفة، لا في مِنَى، لا في عرفات، مخيماتنا في وسط مكة، بالعكس سيوفرون معظم السعر، يبدو أن رجال المرور يعرفونهم، يعرفون تزويرهم، لا أمير، لا رعاية، الحملة ليس مصرحا لها بالعمل في مجال الحج أصلا، مجرد جمعية لتحفيظ القرآن، لا غير.

تختلط الأصوات وتذوب في ضجيج السيارات المستبشرة على طريق مكة.

نقف في العراء في هذي المحطة وسط الصحراء، نظل جالسين في هذي الأتوبيسات الضيقة لساعات، تتجمد أرْجُلنا من الضيق، من البرد، لابد أن الشاي بالنعناع سيخفف الأمر قليلا:

- شاي بالنعناع سكر زيادة لو سمحت.

تضع فرعين من النعناع في كوبك، تصعد الرشفات إلى رأسك مدغدغة، يداعبها الهواء البارد في هذي

الصحراء، تنتشي، تحس بأنك "عملت دماغا"، بريال واحد عملتَها...

تخرج موبايلك، تفتح برنامج التسجيل، تبدأ في بث عُلُوِّكَ في بعض القصائد، في محطات تتلاعب بك، هنا وهناك، عليك أن تنتظر، عليك أن تنظر يمينا، تنظر شمالا، تحملق في ذاك الوجه، تنظر إلى هذا، لا شيءٌ تفعله، بضعة أدعية تتضرع بها، تعلو رأسُك من تكرار الدعاء، من الاندماج، لا شيءٌ يعنيك الآن سوى ألا تغضب، ألا تفقد صبرك، لقد تعلَّمْتَ الدرس جيدا في الحج السابق، وها أنت تتمالك أعصابك، كأن الموقف كله لا يعنيك، تنظر إلى تلك المحطة، تنظر إلى هذي الاستراحة، إلى المسجد الواقف بينهما، إلى الأتوبيسات الواقفة في الانتظار، انتظار إذنِ السماح للدخول إلى الأراضي المقدسة، ها أنت تقف مثلها، مثلهم، تحس بالأتوبيسات تتذمر، تحملق مثلهم، تبدأ رأسك في السُكْر، في العلو، تصعد إلى تلك الغيوم في الأفق، هل ذلك الشاي بالنعناع الذي شربته أثّر عليك؟ أم أن ذلك الهواء في الخلاء تلاعب بأوراق النعناع، بدّلها، حوّل الشاي إلى ما

يُسكِر، لا تدري شيئا، لكنك تدري أنك شربت شايا بالنعناع، أنك أكلت السندوتشات التي جهزتها لك رانيا زوجتك، ها أنت واقف في الهواء، واقف في الخلاء، ربما أصاب رأسك دَوَار، دوار به سُكَار، سُكْر دب إلى تلافيف مخك، وأرداك شاعرا تكتب القصائد وأنت على إحرامك في هذا الموسم المبارك....

ها أنت تنتظر، هل ابتدأ التكفير من الآن، أم أنك اعتدت الوقوف على نقاط التفتيش، اعتدت الوقوف على محطات الجوازات، لا أحد يرتضي أن يقبلك إلى داخل تلك الحدود، أم أن ذنوبك كُثُر وعليك أن تقضي العمر هنا، على نقطة التفتيش، على الأعراف، مكفِّرًا، حتى تخفَّ وتصير صالحا للحج، ماذا تقول؟ ماذا تعيد؟ لا شيء الآن، لا شيء الآن أمامك سوى أن تنتظر، سوى أن تنتظر، أن تتحمل صبرك على القائمين على الحملة، ما ذنبك أنهم لم يستخرجوا تصريحا، ما ذنبك أنهم طمعوا في الريالات كلها، ما ذنبك، نصب على نصب، وأنت ابتغيت وجه الله، وعليك أن تصبر، عليك أن تظل صامتا، كي لا يفسد حجُّك، عليك

ألا تبرح هذه الأرض حتى يأذن لك التصريح، حتى يؤذن لأبيك، حتى يأذن لكم الضابط خلسة، أو غشا، أو تهاونا، من حقِّك أن تضحك، هههههه، وتنطلق إلى إكمال مشاعر الحج، ها أنت نويت من الميقات، ولا يحق لك الرجوع، إذا حبسني حابس فمحلي حيث حبسني، حيث حبستني، ها أنا الآن في محلِّي، ها أنا الآن محبوسٌ على الحدود، محبوسٌ على نقاط التفتيش، في انتظار لحظة أخرى، ها أنا.

تجدك لا تطيق الجلوس في الأتوبيس، الفراغات بين المقاعد لا تسمح لك بشيء، فقط الضيق والسكون، يخرج السائق حصيرا ويفرشه بجانب الأتوبيس وينام في الهواء البارد، في العراء، يبدو أنه معتاد على ذلك، يبدو أنه يعرف أننا سننتظر طويلا...

يتناوب السائقون الكلام عن مصر وسوريا والقبائل، تستغرب من اسم سائقك، حزام، يقول إنه اتفق مع الحملة على عشرة آلاف ريال، أخذ ألفا منها مقدما والباقي بعد الرجوع، تقول في سِرِّك:

- احمدْ ربَّكَ أنكَ أخذتَ ألفا منها، فربما لن تأخذ شيئا غيرها.

ها نحن ننتظر على الحدود، لا نعرف لنا مصيرا، لا أحد يتفاءل بشيء، فقط الاستنكار والسكوت، لا تغضب، أولى دروس الحج الصبر، ألَّا تغضب كي لا تُفْسِدَ حَجَّك، لا رفس، لا فسوق، لا جدال، تُخْرِجُ غضبك في هدوء، انتقاد متمالك، تجدك تدور في تلك المحطة العارية، ربما طلبا للدفء، الحركة المتواصلة صديقة، تمسك موبايلك، تكلم نفسك، لن يظن بك أحد جنونا، أنت تمسك موبايلا على كل حال...

فرَّقُوا زملاءك في الباصات، بعد حين تجد عبد الحميد، واقفا مثلك في العراء، يترك ابنه مع زوجته في الأتوبيس، لا يحتمل "أَنَسٌ" كل هذا البرد، بدأ يسعل، ربما من البرد، ربما من العدوى، الناس يعطسون في الباص، حتى دون أن يضعوا مناديل ورقية على أنوفهم، ومنهم من يبصق على أرضية الأتوبيس:

- لا أحد يعرف النظافة الشخصية يا صديق، فقط قَدْرٌ من الشَّبَّةِ تحت الإبط بعد الاستحمام يكفي، لا أحد يطالبهم بِمُزيل العرق، الشَّبَّةُ رخيصة.

- ألا تدري أن من لا يحتاط ويُعدي شخصا بإهماله يرتكب ذنبا؟!

- يبدو أننا وقعنا ضحية عملية نصب، هل سيتحمل أصحاب الحملة ذنب الـ 350 حاجا إذا منعونا من الذهاب إلى مكة؟

- هم الذين قصّروا برغبتهم في توفير تكلفة التراخيص، يحسبونها فهلوة: سيشفق عليهم الضابط ويسمح لنا بالمرور، سيخاف أن يتحمل ذنبنا.

تشديدٌ هذا العام، تتصل بزوجتك، أعلنوا في التلفزيون إرجاع 150 ألف من مشتركي الحملات من على نقاط التفتيش، مازلنا في اليوم السابع من ذي الحجة، هل كل الحملات مخالفة؟ تجارة هي الحياة، لا شيء يهمُّ عند أصحاب الحملات، ونحن مازلنا في الفَجِّ العميق، مازلنا في

الفَجِّ قبل نقطة التفتيش، فلنشرب شايا، ربما جلب لنا قدرا من الدفء، قدرا من الاطمئنان، تدق لسعة البرد الرؤوس، تدق، تدق، البطاطين والملاءات في الحقائب مربوطة أعلى الأتوبيسات، لا مجال للدفء، وإحرامك ليس مُعَدًّا للصحراء، للعراء، للنصب، مُعَدٌّ فقط للشعائر، للتجوُّل في المشاعر المقدسة التي يدفئها الله دائما حتى في عز الشتاء، سبحانه وتعالى عما يفعلون...

تفكر أن تذهب الآن لشراء كوب شاي آخر، تفكر جَدِّيًّا يا فتى، لكنك تتذكر أنك تصر الآن على السُّكْرِ، ربما كان كوب الشاي السابق قد أحدث سكرا عفويا، لا ذنب لك فيه، لكنك الآن لا طاقة لك على ذنوب أخرى، عندك من المعاصي ما يكفي لتورُّمِ قدميك طوال الحج، لتضرُّعِك طوال أيامه طلبا للمغفرة، لا تنس أنك تطلب المغفرة لك ولأبيك، ثمانية وسبعون عاما من الذنوب، أضف إليها اثنين وثلاثين عاما عشتماها سويا، لا تنقصك ذنوب أخرى، إذا اشتريت الآن كوب شاي آخر، ستكون قد سكرت، مع سبق الإصرار والترصد سكرتَ، وسيجلدونك، سيعدمونك، لا

تعرف، على الأقل جَلْدٌ، كما أنك في طريقك للحج الآن، لا يحقُّ لك، احترمْ إحرامك، لا ينبغي عليك، لا تحبُّ أنت، لا تحب أن ترتكب ذنبا عامدا، أن ترتكب خطيئة في هذي الأيام المباركة، يكفيك ما ترتكبه جاهلا أو ناسيا، أيام تنتظرها بين الحين والحين، لتكفّر ما تقدم من ذنب، لتكفر كل ما تقدم من خطايا، اقترفتها أم لم تقترفها، القصد ليس نهاية المطاف، لا تنسَ أنك ستحج لأبيك، لا تنسَ أنه ينتظرك الآن.

يبدو أن برنامج التسجيل في موبايلك يستعذب صوتك، أو ربما يستحثك على إخراج ذنوبك على السطح، تجمِّعُهَا، في مَلَفٍّ واحدٍ، ربما تمهيدا لأن تستجمع كل عزمك وترمي بها الشيطان في جمرة العقبة، في كل الجمرات، تلقيه بها، علك ترتد إليك حسَّاسًا، توَّاقًا، مُتَوَقِّدَ الإحساس، نابضَ الجسد، هيا، افعلها ولا حرج، أخرجها، ربما وجدت الراحة، أنت على حج، وستعود كما ولدتك أمك بإذن الله، هيا، لا تتردد، بسم الله الرحمن الرحيم... نويتَ والنية لله، أنك خارج للحج، نويتَ ويشهد عليك مِيقَاتُ ذي الحُلَيْفَة، نويتَ والنية لله، أنك ستحج لأبيك، ها أنت الآن تقف على الحدود،

دون أن يُسمَح لك بالدخول، دون أن تأخذ تأشيرة مرور على طريق مكة، هل يا ترى يقف أبوك الآن على الحدود، في انتظار تأشيرة المرور، في انتظار مرورك إلى أداء الشعائر؟ هل يا ترى يقف منتظرا؟ أم أنه بلغ مثواه في نعيم؟ وهل إذا عبرت أنت الحدود إلى هناك، هل ستضمن أنك ستتقن المراسم؟ الشعائر؟ أم أنك...؟ لا يهم، كل ما في وسعي سأبذله، كل ما في وسعي سأتضرع به، كي يعبر أبي الحدودَ.

ديسمبر 2007

لم ندفنه سويا

اشتدت الشمسُ فوق رؤوسنا ونحن في طريقنا إلى ذلك القصر. لم نجد شيئا نحتمي به من لهيبها سوى كوبري لم يكتمل بناؤه. لكن المشردين وأطفال الشوارع كانوا يحتلون كل بقعة من الظل ولم نجد سوى تقاطع الظل بالشمس.

نهضتْ امرأة من بيننا قائلة:

- مادامتِ الشمسُ هنا وهناك، سأصعد فوق الكوبري علَّ نسمة هواء تخفِّف حرارة الشمس، وسأستطلع لكم الطريق.

أشارت لنا بيدها فَرِحَةً، ثم قالت بأعلى ما يمكنها من صوت:

- أرى خيال مآتة هناك.

تناثرت الأصوات بيننا:

- الشمس الحارقة تفعل أكثر من هذا.

- امرأة ناقصة عقل.

- لا يجوز أن تستطلع امرأةٌ الطريقَ.

- من أين لها بالبصر وهي لا ترى أبعد من قدميها؟

- يا جماعة ربما تكون على صواب.

عندما رجعتْ إلينا، كانت مهمومة. جلست صامتة لدقائق ثم تكلمت كأنها تخاطب نفسها:

- هذا ما كنتُ أخشاه: ستنفجر الدماء هنا وهناك وستطغى على مياه النهر.

- لا حول ولا قوة إلا بالله.

- يبدو أنها جُنَّتْ.

- ألم أقل لكم إنها ناقصة عقل؟

- من تقوده امرأة سيغرق في بحر الدماء.

عندما هدأت الأصواتُ كانت حرارة الشمس قد خفَّتْ كثيرا ربما لتستعجل إكمال مسيرتنا. سبقنا المشردون وأطفالُ الشوارع ورجالُه ونساؤه. صُدِمْنَا عندما وجدنا أعدادهم تفوق أعدادنا بكثير مع إننا بالملايين. كان المنظر أشبه بيوم الحشر

الذي يصفه الشيوخ على المنابر. لم يمنعنا الجوع أو العطش من التَّقَدُّمِ. كانت أجسادنا تدفع بعضها بعضا. والغريب أن الغربان كانت تتجمع فوقنا كأنها ظنَّتنا ميِّتين وكانت تود لو تنقضُّ علينا لتجد شيئا تأكله، وربما كانت تحرسنا وتستعد لتكريم الأرواح التي ستُزْهَق. زادنا النظر قوة وتمسُّكًا بالحياة، فتدافعنا للأمام حتى نصل قبل أن نموت أو تتأسَّد الغربانُ أو تفقدَ الدماءُ مفعولَها قبل أن تحقق مرادها.

كانت صورُهُ مُلْصَقَةً على كل جدران القصر ولا تترك مساحة لصورة أخرى. وبالرغم من أننا فزِعنا من صورته المتجهِّمَةِ وهي تحدِّق فينا في تهديدٍ ووعيدٍ، لم نتراجع، فلم يتبقَّ أمامنا شيءٌ يمكن أن يضيع منا.

لم ندرِ من أين جاء كل هذا العدد من المصوِّرين والصحفيِّين والمذيعين أمام القصر كأنهم كانوا يعرفون مسبقا بمسيرتنا وَوِجْهَتِنَا. كانوا يرتدون ملابس جديدة ولا يظهر عليهم جوعٌ أو تشرُّدٌ. فكرة احتياطية: إن لم نجد ما سنأكله، سيصيرون في متناول أفواهنا.

عندما مرَّتْ بعض السُّحُبُ في السماء وخفَّفت من سطوع الشمس التفتْنا إلى أعلى القصر ووجدناه هناك واقفا كأنه تجسيد حيٌّ لكل تلك الصور. تناديْنا بالثبات وعدم الفزع من هذه الصورة المرعبة. حاولنا أن نستفزه بأية طريقة. لم نجد أمامنا إلا بعض الحُرَّاسِ الواقفين كأنهم أصنام لا تتحرك من مكانها. اندفعنا نحوهم متكتِّلين، ثم سحبناهم بحيث يكونون في مرأى عينيه، وأخذنا ننكِّلُ بهم...

عندما سالت دماءهم أحسستُ بالرعب مما قالته المرأة التي استطلعت المشهد من فوق الكوبري. كانت الدماء تسيل وأدركتُ أنها ربما ستجرف كل شيء فعلا وهي في طريقها إلى النهر. لكنه لم يتحرك من أعلى القصر أو يصدر أوامر بإبادتنا إبادة جماعية كما كنا نتوقع. لم تمضِ دقائق إلا ووجدنا عرباتٍ مُحَمَّلَةً بكل ما نعرفه وما لا نعرفه من طعام قادمة نحو القصر.

- الله أكبر.

- تبارك الرب الإله.

أصوات هتفت هنا. أصوات هتفت هناك. وانقضضنا جميعا حتى أتينا على كل ما في تلك العربات، ولم يجد السائقون إلا الفرار عندما رأوا دماء الحراس نافرة على الأرضية أمام القصر.

سرى الطعام في أجسادنا وأحسسنا بكل قوانا التي ضاعت منا طوال السنوات المشؤومة وقد عادت إلينا. كان وَضْعُنَا أَشْبَهَ بالمُحَاصِرين، لكننا لم نحس بوجود مَنْ نحاصره، كأننا كنا نحاصر مقبرة قديمة نسيها الزمنُ ولم تعد حتى الأشباح تظهر فيها.

عندما لم نجده يتحرك، هتفنا بسقوطه، وحاولنا أن نستفزه بكل الكلمات والهتافات والأدعية، لكنه لم يحرِّكْ ساكنا. كان في برودة أعصابه المعتادة، بل صار ثلجا لا تذيبه الشمس. لم ننتظر طويلا. انهال علينا الرصاص فجأة كما لو كان كَمِينًا نَصَبَه لنا أشخاصٌ لا نراهم. تدفَّقت الدماءُ لتلتحم بالطريق إلى النهر.

- لا تتراجعوا.

- إن مات نصفنا سيكون على الأقل هناك أمل في حياة الباقيين.
- لا نريد لحوما ولا دجاجا، نريد سكنا وخبزا.
- من يمت على الأقل سيمُتْ كريما ويدخل الجنة، من يَعِشْ سيجد الخبز ويَعِشْ حُرًّا.

لم يسكن الرصاص إلا بعدما فاض نهرُ الدم. وعندما لم يجد مَنْ يطلقونه شيئا متبقِّيًا معهم قفزوا بالمظلات كأنهم ينتحرون في نهر الدماء. تلقَّفتهم الأيدي المتبقية وداستْ عليهم بالأحذية إلى أن غرقوا فعلا في النهر.

توقَّفت الأيدي فجأة عندما انفجر صوتُ أحد المصوِّرين وهو ينادي علينا ليزفَّ لنا بشراه. قال:

- من يريد أن يرى خيال المآتة يدفع جنيها.

وبما أننا لم يكن معنا شيء، ربطتُ يدي نزَّ الدمُ منها لتوها بقميصي القديم واندفعتُ نحوه قائلا وأنا أفكر في المرأة التي أنبأتنا به من فوق الكوبري ولم أستطع أن أعثر عليها في تجمُّعِنا هذا أمام القصر:

- وماذا تعطي من يدُلُّكَ على من سَبَقَتْكَ وأن أخبارك قديمة؟

سقط من الصدمة واندفعنا نحو الكاميرا ونحن ننظر من ثقبها إلى أعلى القصر كما كان يثبتها ووجدناه فوق القصر خيال مآتة كأنه فارق الحياة منذ سنين. وعندما أدركنا أننا ضُحِكَ علينا اندفعنا نحو بوابة القصر، فاندكَّتْ تحت أقدامنا وتوغلنا نبحث عن أي يد باطشة لكي نكسرها ونقيم محلها أيادينا حتى ولو كانت مبتورة.

12-14 فبراير 2010

أشباح وروائح

عُدْتُ على أثر المكالمات المتتابعة التي كنتُ أتلقَّاها كل ربع ساعة في اليوم الأخير. قطعتُ رحلتي وعدتُ. لم يستطع عقلي أن يستوعب سببا لكل ما تحمله هذه المكالمات المتدفقة كالسيل. لم أجد أحدا في استقبالي. حتى أنني عندما اتصلتُ قبل أن أركب الطائرة لم يرد أحد على أي هاتف. خرجتُ وأنا أحاول أن ألتمس أعذارا للجميع. حتى وإن كانت لهم أعذار، لم أجد أي عذر للخدم والموظفين والتابعين، فمن مهامهم الأساسية تلقي المكالمات، ولكن حتى الهواتف المحمولة لأهلي لم تكن تردُّ: فقط أصوات متواصلة إلى ما لا نهاية، ولا صوت، ووسائل الإعلام لم تذكر شيئا عن أي خلل، فكانت كل الأمور وردية كالمعتاد إلى أن انقطع الإرسال وكأن بلدنا ما عادت موجودة على الخريطة.

تردَّد سائقُ التاكسي كثيرا قبل أن أُقْنِعَه بإيصالي. قال لي:

- لديّ أولاد أريدُ الرجوعَ إليهم.

لم أفهم كلامه. كل العاملين تقريبا لديهم أولاد سيرجعون إليهم في نهاية اليوم. بحثتُ عن رقم وزير المواصلات واتصلتُ به: جرس متواصل سمعتُه نواحا. أحسستُ بأن الدنيا كلها توقفتْ، وكنتُ واقفا أنا أيضا، دون أن يبادر أحدُ التاكسيات ليتوقف لي.

عدتُ مرة أخرى إلى ذلك السائق الذي كان يريد أن يرجع لأهله وكان يقف قبالتي من بعيد كأنه يتحداني بانتظاره لراكب آخر قد يجيء ويأخذ التاكسي مكاني. أحسستُ بأن كل سلطاتي تتوقف هي الأخرى دون سابق إنذار. فلم أجد أمامي إلا الرجاء:

- يا سيادة السائق، إن كنت أنت لديك أولاد تريد الرجوع إليهم، فأنا لا أعرف شيئا عما جرى لأهلي أصلا!

نظر إليَّ نظرة فيها قدر من الشفقة وقدر من التشفِّي ولم يتكلم. فقط حرَّك رمشه للوراء قليلا كأنه يشير إلى شنطة التاكسي. فهمتُ من حركته أنه رقَّ لي وأحس أنني غريب

تائه. لكنه لم يخرج من التاكسي أو يبادر بمساعدتي في رفع حقيبتي. الحمد لله. على الأقل نصف العمى أفضل من العمى الكامل. تركني أضع حقيبتي في التاكسي دون أن يساعدني وانهمكَ في وضعِ كُمَامَةٍ على وجهه وأنفه. قلت لنفسي:

- رأيت أناسا كثيرين في حياتي، لكنني لم أرَ كائنا بغرابة هذا السائق.

لكنه على الأقل السائق الوحيد الذي تمكنتُ من إقناعه بإيصالي. ابتسمتُ ابتسامة ساخرة عندما دارت برأسي فكرة تمكُّني من إقناعه، فهو لم يقتنع أصلا، ويبدو أنه أشفق عليَّ أو أحسَّ بضعفي الذي بدأ يتضاعف بمجرد أن ركبتُ التاكسي. أحسستُ بأشياء غريبة تدبُّ في قلبي الذي كاد يتوقف من هذه المواقف الغريبة، خاصة عندما قال السائق وهو يتحرك بي:

- الأعمار بيد الله.

لا يمكن أن يُجمع كل السائقين على عدم إيصالي بهذه الطريقة إلا إذا كان هناك شيء غريب جدا قد حدث. وازداد

شكي عندما عرَّفتُهم بنفسي ولم تتغير طريقة معاملتهم لي. كان مَنْ هُمْ أفضل منهم بكثير يتمنون أن يركعوا تحت أقدامنا قبل سفري. لكن يبدو الآن أن الطائرة نزلت على كوكب آخر، أو على الأقل في بلد أخرى غير بلدنا.

تذكرت والدي وعائلتي وكل المكالمات التي انهالت عليّ قبل قراري المفاجئ بالعودة. تذكرت الخلافات بين إخوتي على من يخلف أبي. تذكرت أنني سافرت مللا من خلافاتهم التي لا تنتهي. عندما تَنَبَّهْتُ إلى ما حولي، رأيت الشوارع كأنني أراها لأول مرة. كما أنني لم أتأفف من الوجوه التي أراها من شباك التاكسي، فاستغربتُ. شككتُ في أن إقامتي خارج البلد لفترة طويلة نوعا ما هي التي جعلتني أنظر إلى الأشياء حولي نظرة لم أعْتَدْ عليها هنا. لكنني قلت:

- يبدو أن كُلَّ شيءٍ غريبٌ في هذا اليوم الغريب.

رفض سائقُ التاكسي أن يُكْمِلَ الطريقَ إلى القصر. وقف قبل حدود السور الخارجي بمسافة طويلة، وقال لي بنبرة جادة وقلقة:

- انزلْ هنا.

فقلت له في ضجر:

- كيف أنزل هنا والمسافة من السور إلى القصر وحدها عشرة كيلومترات؟!

لكن نبرته كانت صارمة كما أنها اكتست بطبقة فزع رأيته حقيقيا في عينيه، وأضاف قائلا:

- عملتُ ما يمليه عليّ ضميري. لم أقصِّر معك، ويُفترض ألا تقصِّر معي. أولادي ينتظرونني.

لم أستطع أن أتبين منه نوع التقصير الذي يتهمني به ولا حتى معنى انتظار الأولاد الذي كرره على مسامعي كثيرا. حتى أُجْرَتُهُ رفض أن يأخذها من يدي وطلب مني أن أضعها أمامه على التاكسي. تركني أنزل حقيبتي بمفردي قائلا:

- لك الله ولي العودة حيا إلى أولادي.

- لك الله.

كرَّرتُها كثيرا كأنني وجدت فيها قدرا من الاطمئنان. فلأول مرة يدعو لي بشيء ويتمنى لي خيرا كأنه صديق. ابتسمتُ في وجهه برغم ما يتضارب داخلي من أحاسيس وانفعالات. وعندما انصرفَ، وقفتُ أتأمل المنظرَ حولي حتى أستطيع أن أتبين معنى كل ما سمعتُه أو حَدَثَ حتى الآن.

فزعتُ عندما أحسستُ بالوحشة والخوف في نفس الوقت، كأن السائق أنزلني في منطقة مهجورة وكل الكائنات تتربص بي من حولي. وبالرغم من أن المكان مكاني وأعرفه جيدا، لم أشعر بأُلفة معه، كأنه كان مكانا آخر، ولأول مرة أحسستُ بأن لهذا المكان روحا، روح قد تفارقه إذا حدث شيء ما، أو إذا تغيَّر اتجاه من يشغلون هذا المكان نحوك أو نحو بعضهم البعض.

كان مكانا جديدا بالنسبة لي وغريبا في الوقت ذاته، ولأول مرة أشعر بوحشة حقيقية فيه. صحيح أنني كنتُ أشعر بوحشة أحيانا عندما كان إخوتي يتشاجرون حول من سيخلف أبي، لكنها لم تكن وَحْشَةً دائمة، وكنتُ على الأقل أستطيع أن

أخرج منها بالقراءة والاحتكاك بعوالم أخرى. وحتى القراءة تركتُها هناك ولم أُكمل رسالتي للدكتوراه برجوعي المفاجئ. لم أدرِ لماذا أحسستُ بأنني لن أستطيع السفر مرة أخرى لأكملها، وكأن كل تاريخي الشخصي والعائلي وكل تواريخي تلاشت للأبد، وعليَّ أن أبدأ من جديد حياة لا أعرف عنها شيئا. أبصرتُ نذير شؤم في كل أفكاري وكأن التاكسي كان يدهسني تحت عجلاته ولم يستبقِ مني إلا هيكلا عظميا لا يملأه شيء ويقف الآن في هذا العراء والخلاء والفضاء بلا مؤنس ولا تاريخ.

هممتُ أن أنادي على السائق ليرجعني إلى أي مكان، لكنه كان قد اختفي كأن الكائنات التي أحسستُ بها تسكن المكان ابتلعتْه. نظرتُ حولي من جديد ولم أتبين أي شيء يدل على الحياة التي تركتُها هنا قبل سفري. عاودني الشك في أنني قد أكون نزلتُ بمكانٍ شبيهٍ بالمكان المحيط بقصرنا. ولم أستطع أن أُثْبِتَ شكِّي أو أنفيه. عندما أخبرتُ السائق به عَرفَه على الفور. ولكنني عندما نزلتُ من التاكسي أيضا لم أتعرَّف عليه. وها هو الآن يلتفُّ حولي كفيلمِ رعبٍ لا ينتهي.

لم أستطع حتى أن أحدِّدَ ما ينبغي أن أفعله، فرعبٌ أن أعود من ذلك الطريق، ورعبٌ أن أواصل طريقي إلى القصر. توقفتُ قليلا لأستجمع أفكاري، وتركت حقيبتي في الخلاء، فلم أستطع أن أحملها وأحمل هواجسي في الوقت ذاته. قلت:

- على الأقل إن واصلتُ السير نحو القصر سأجد سورا أحتمي به من أي شيء يهددني.

ضحكتُ برغم بؤس حالتي، فالأشباح التي أحس بها الآن في كل شبر حولي لا تعترف بالأسوار. ومع ذلك قررتُ أن أواصل السير نحو القصر، فعلى الأقل سأعرف سر ما حدث. لابد أن عائلتي محتمية به، وهناك ما يحمينا من الجوع شهورا. لابد أن هذه الأشباح ستخاف من حرَّاسِ القصر ولن تقربه أو تقرَبُنا، وإن اقتربتْ منه فسنجيئ بشيوخنا ليحرقوها أو يصرفوها.

كانت أصوات الريح تنوح في أذني، كأنها تنعي كل خطوة أتقدم بها نحو القصر، أو تستعطف الأشباح كي

تتركني، فعلى الأقل كان يكفيني ما أحس به من وحشة. وكنتُ أحس بأجساد تكاد تلامس جسدي، دون أن تلمسني. لو كانت لمستني لكنت تيقنت منها. لكنها ظلت تناوشني دون أن تحتكَّ بي، دون أن تبتعد، لتبقيني مهووسا بها إلى حد الهلع.

رَكَّزْتُ كل انتباهي في صوت خطواتي وواصلتُ السيرَ في حذرٍ كي لا أسمع صوتا آخر أو يُمِيتَني نُواحُ الريحِ.

بدأتُ أقترب من السور. لكنه بالتأكيد لم يكن السور التي تركته قبل سفري. كان أشبه بسور وهمي مَبْنِيٍّ من الأشباح المتنافرة. أحسست بالتحدي. وكان عليّ أن أقبل التحدي بلا تردد، خاصة وأنني لم يكن أمامي سبيل غير ذلك.

مددتُ خطواتي للأمام وأنا أحاول أن أخفي خوفي وأسدَّ أنفي. لم أجد أحدا يقف في الميدان أمام السور الخارجي لتقديم التماسٍ أو طلب معونة أو صدقة. كنت من قبل أرى أجسادا بالآلاف تقف في الميدان دون أن نأبه بها، فإن كنا

سمحنا لهم بالدخول – كما أكد أخي الأكبر ووزير الداخلية – أو استمعنا لأصواتهم، كانوا سينهبون القصر بالتأكيد ولا يبقون منه شيئا. ازداد فزعي عندما لم أجد أحدا بالميدان. وتمنيت حتى أن أجد شخصا واحدا يؤنسني ويؤكد لي أنني كنت أمام قصرنا. فالقصر فقد مهابته التي تحولت إلى شيء لم أستطعْ وَصْفَه لكنه كان يُرهبني، كان يغرس فيّ أحاسيسَ تَهِمُّ أن تقتلعني وتُلقي بي لأفواه الأشباح دون رحمة أو شفقة. اخترقتُ جموعَ الأشباح الصامتة إلى أن وصلت إلى بوابة القصر.

لم أرَ أحدا يحرس البوابة الخارجية. نظرتْ إليّ البوابة ساخرة أو هازئة أو ضاحكة، لكنها كانت مواربة، تغريني بالدخول. تمكَّنَ مني إحساسٌ عارمٌ بمقاومة هذا الإغراء، لكن إحساسا آخر قاوم الإحساس الأول وقادني من فتحة البوابة إلى داخل السور. أحسستُ به يستفرد بي، وقَوِيَ إحساسي عندما سمعتُ ارتطامَ البوابة كأن أحدا أغلقها خلفي. نظرت ورائي ولم أجد أحدا.

- أهلا!!

قلتها في خوف وسخرية، كأن كل إحساس من أحاسيسي قالها بطريقته. عندما تجوَّلتُ بنظري داخل السور، وجدتُ الصمتَ سيِّدَ المكان كأنه ابتلع كل أسياد هذا المكان واستحوذ عليه بدون منازع. كانت قصور الحاشية والوصيفات والخدم تصطف على الجانبين دون أن يبرز منها صوت أو تتعرف عليّ شجرة من الأشجار التي ارتفعت الآن.

أحسست بأنني ممثِّلٌ تافهٌ في فيلم رعب أمريكي، ما أن يظهر على الشاشة حتى تفترسه الأشباح دون أن يعاود الظهور. أحسستُ فعلا برائحة الموت في أنفي. يبدو أن الأشباح سمعت فكرتي، فها أنا أتيقن من وجودها فوق الأشجار والقصور وأعمدة الإنارة وهي تخرج لي لسانها وأعضاءها وأسلحتها البيضاء. حاولتُ أن أختبئ في أي مكان لا توجد به أشباح، ولم أجد مكانا واحدا. فأخذت أهرول نحو القصر علَّ إحساسي بأنني وسط عائلتي يُبْعِدُ عنِّي كل

هذه الأشباح والروائح. تعثرت قدماي، لكنني لم أترك لهما فرصة ليوقعا بي في أيدي الأشباح، ونهضتُ بسرعة كي أجري نحو القصر.

قطعتُ الكيلومترات كأنها أمتارٌ معدودةٌ ، فيبدو أن قدميّ ذاتهما رَكَبَهُما شبحٌ من هذه الأشباح كي يزيد وحشتي وخوفي. ووجدت نفسي أقف فجأة كأن فراملَ ضغطتْ على عضلاتي وقدميّ.

رفعتُ عيني ووجدتُ باب القصر أمامي مغلقا. لم أرَ أحدا يقف ببوابته أو يرحب بي. عاودني الإحساس بأنني في مكان غير المكان. لكنني رأيت الزخارف ذاتها أمامي تندهني وتغويني بالدخول. تردَّدَتْ يداي في إخراج المفتاح من جيبي. استنبطتُ من تردُّدِهما أنه من الأفضل لي ألا أدخل القصر. وقفتُ، الأشباح من ورائي والخوف من أمامي، كأنني أحرقت كل سفني، وأحرقت معها أيضا أسلحتي. وكان عليّ أن أتقدم فقط بما تبقي فيّ من نبض وأحاسيس متضاربة. نظرتُ ورائي، فوجدت كل شيء

يتربص بي، يحيط بي من كل جانب، ولم يتبق إلا جانب القصر، فقررت الدخول. على الأقل ما يربض فيه من رعب مجرد احتمال، وكل ما عداه رعب تيقنتْ منه عيناي ونبَّهتْني له أحاسيسي. قهرتُ حركة يدي وأخرجتُ مفتاحي من جيبي ووضعته في الباب.

بينما كنتُ ألمس الباب أحسست بإحساس غريب لم أستطع تحديده. شعرت بأنني واقف على الأعتاب، في مفترق الطرق، لا إلى هنا ولا إلى هناك، فقط انجذاب عجيب كأنه الحنين، بالرغم من أنني لا أعرف الحنين ولا المواساة. أعدت النظر للوراء، فازداد إحساسي بالرهبة والوحشة وجبروت المكان. كل ما أتذكره قبل سنتين أن هذه الأرض كانت عامرة، أنها كانت مليئة بالوجوه. لكنني لم أرَ وجها واحدا. وأخذت المشاعر المتضاربة تتسارع في دمي. وأحسست بأنني كل الانفعالات وكل الحالات.

أدرتُ المفتاح، وما إن انفتح الباب قليلا حتى أحسست بالانقباض وكأنني داخل إلى خرابة أو بيت مهجور. لم أدرِ

ساعتها إن كان الحنين الذي فاجأني منذ دقائق زاد أم نقص. فقط كنتُ واثقا من أنني أمام لحظة فارقة في حياتي، ثقة لم أتبيَّنْ أُسُسَهَا أو معالمَها، ولم أستطع أن أُلِمَّ بكل المشاعر التي تعصف بي وتحوِّلُني إلى لعبةٍ بين يديّ داخلِ الباب وخارجِه. إن دخلت منه هل سأخرج ثانية؟ أم أن الصراع الذي تركته بالداخل قبل سفري سيحبسني هناك للأبد لأصير شبحا لا يستطيع حتى أن يمرح بالإرهاب مع الأشباح التي تتجول بحرية خارج الباب؟ وإن أدرت له ظهري ولم أدخله، هل سأظل منفيا داخل السور الخارجي تتلاعب بي الأشباحُ والروائحُ والصورُ إلى أن تصيِّرني صدى تتناقله الريحُ دون أن تسمح له بالخروج خارج ذاك السور؟ مجرد أسئلة قليلة من فيض يتلاطم داخلي لم أستطعْ أن أُخْرِجَهُ مرة واحدة.

وما إن انفتح جزء من الباب حتى أحسست بأيادٍ تتحرك في الهواء وتكاد تهوي على جسدي. فكَّرتُ أن أتراجع للحظات. ولكن لم يكن أمامي إلا أن أطمئن على أهلي، أن أطمئن على نفسي، هل أنا بالداخل أم بالخارج؟ هل هذه الأشباح مجرد صدى لما يتلاطم داخلي أم أنها تتربص بي

فعلا؟ هل هذا المكان مكاني أم أن سائق التاكسي اللعين نصب عليّ وتلاعب بي؟ لمستْ قدمي داخل القصر ويا ليتها كانت رجعتْ وكنت فقدتُ البصر قبل أن ألج ذلك الباب!

وجدت جثثا متناثرة بعشوائية كأنها تلقائية. أحسست برائحة الموت تنتشر في كل مكان. سارعتُ الخطى إلى كل الغرف لأجد باقي أهلي راقدين ميتين في أسرَّتهم أو على كراسيِّهم أو خلف مكاتبهم دون أن أبصر قطرة دم واحدة. لم أدرِ ماذا أفعل ولم أجد من أتحدث إليه.

وأخذت أهرول في أنحاء القصر وفنائه وحدائقه وكأنني أبحث عن نفسي وأكلم نفسي، ووجدتُ روائح تطاردني وتحتل أنفي دون أن تفارقني، دون أن أستطيع أن أجد لها تفسيرا يقنعني. وعندما كادت الرائحة تفتك بي، انفلتُّ من باب القصر وأنا أتحامل على الآلام التي ظهرت فجأة في جسدي والهرش الذي ظهر في جلدي وبدأ ينادي يدي للاحتكاك به وتمزيقه. استرجعتُ وجهَ أبي الذي رأيتُه منذ لحظات ميِّتًا في القصر والخدوش التي رأيتها عليه، قلت:

- ربما ما أشعر به الآن هو ما شعر به أبي وجعله يحك وجهه إلى أن مات.

فازداد خوفي وانتشرت روائح الموت في كل مكان حولي ورأيت أشباحا تطاردني وأخذت أجري على غير هدى علّي أرى أحد أستفسر منه أو يخبرني اليقين.

تكاثفتِ الأشباحُ حولي والتفَّتِ الروائحُ حول أنفي. كدت أسقط وكادت الأشباح والروائح تدهسني وتصيِّرني رائحة لاهثة في أرجاء القصر كأنها شاهد إثبات أو شاهد قبر. لكنني راوغتُها أو راوغتُ نفسي الأمَّارة بقتلي وأخذتُ أجري في حديقة القصر. كانت الأشجار تصرخ وأنا أنفلتُ من بينها، ولم أتبيَّن إن كان صراخها تعاطفا أم رثاء أم سخرية. حاولت أن أقفز من السور لألقي بنفسي خارج هذا القصر بأكمله، وكان السور عنيدا عاليا شاهقا كأنه يتحداني. لعنتُ المهندسَ اللعين الذي اقترح أن تكون أسوار القصر شاهقة كي لا يتسلَّل منها أحدٌ للداخل ويستولي عليه أو يقتل بعض من بداخله. استدركتُ لعنةً حاولتْ أن تنفلت من لساني

وتنصبَّ على أبي ذاته الذي راقت له فكرة التَّحْصين والاحتماء بسور لا يستطيع أحدٌ أن يَقْرَبَهُ.

كنتُ كفأرٍ صغير تتكالب عليه القطط الشبحيَّة دون أن تترك له فرصة لالتقاط أنفاسه. يبدو أن الذعر ولَّد فيّ إحساسا بالقوة والثبات لم أتبينه من قبل. فأخذت أجري وأسابق الأشباحَ والروائحَ في بطولة حسدت نفسي عليها. لم أعبأ بلهاثي بالرغم من طول المسافة، ولم أستطع أن أجد مفتاحا لأي سيارة من السيارات الرابضة أمام القصر. كما أنني خشيتُ إن ركبتُ إحداها أن تحيط بي الروائح والأشباح من كل جانب فتخنقني أو تخربش وجهي إلى أن أموت كَمَنْ ماتوا في القصر، دون أن أعرف شيئا عما حدث لهم جميعا.

عندما انفلتُّ من بوابة القصر الخارجية وجريتُ نحو الجهة الأخرى التي لم أفكر يوما بالمرور بها، قلَّتِ الروائحُ قليلا وتناقص عددُ الأشباح. فيبدو أنها كانت لا تألف الهواء المنطلق وسط الحقول ولا الشمس الحارقة التي تلهب رأسي الآن، وكأنها تنفرها إلى أن تصفِّيها قطرةً قطرةً خليَّةً خليَّةً

وأصير أنا شبحا يجري في الخلاء وسط الحقول المترامية بلا هدف إلى أن يجد أحدا يطارده. كانت الأشباح تقف وأنا أجري كالمجنون وسط الحقول لتتفرج عليّ وتضحك ساخرة ويتردد صدى ضحكاتها في أذني إلى أن يسقطني على وجهي فأغفو.

رأيتُ في منامي مجاري من الدم تسيل كأنها تروي كل الحقوق. ورأيت وجوها غاضبة وعروقا نافرة وفؤوسا تهوي على القصر لتزرع أرضه أشجارا معمِّرة ومحاصيلَ تُطعم الأفواهَ. رأيت أناسا يتقاسمون المحاصيل ورأيت عجوزا يأكله شاب في مقتبل العمر. وسرعان ما تبدل المنظر ورأيت ماكيناتٍ في المصانع وعرباتٍ تحمل ما تنتجه هذه المصانع ليصل إلى كل شبر من الأرض المترامية التي لم أكن أعرف عنها شيئا حتى حدود الجبال البعيدة.

رأيت أعلاما ترفرف وأصواتا تتظاهر، فوقفت في منامي لأتفرج على هذا المنظر الغريب الذي لم أره في حياتي إلا بالخارج قبل رجوعي. أحسستُ بالنشوة أو الخوف

أو أن الأشباح التي كانت تطاردني رأيتها في هذه الأصوات. وسرعان ما رجعتْ مجاري الدماء كما كانت تفيض كأنها طوفان يغرق كل شيء. تعجَّبتُ عندما رأيتُ الأشجار وكل النباتات تنبت من هذه الدماء كأنها شريان الحياة. وعندما رفعت رأسي لأشرب من الدماء وجدت حجرا يرجمني من يدٍ بَرَزَتْ من وسط هذه الأصوات، فَصَحَوْتُ من منامي فَزِعًا وأنا أضع يدي على قلبي، وأغمض عيني كي لا أفتحهما وأرى ما رأيته في منامي حقيقة متجسِّدة أمام عيني. أحسست بخفة وطأة الأشباح وأن روائح الموت التي كانت تطاردني قابلت روائح الخضرة ولم تستطع أن تصمد كثيرا أمامها، فتحسَّسْتُ نبتا كان يمتد عند أطراف أصابعي وقبَّلتُ أنفاسي الهادئة التي عادت إليّ.

عندما بدأت أذني تلتقط أصواتا هنا وهناك، تذكرت كلمات أبي عن الرعاع الذين يتربصون بالقصر في كل أوان ليستولوا عليه. وساعتها أدركت أنني في خطر. فتحت عيني سريعا كي أحاول أن أفعل شيئا أقاوم به الأيادي التي قد تفتك بي.

نهضتُ ووقفت أجول بنظري لأستكشف المكان. لم أرَ رمالا كنت أجري وسطها عندما كانت تطاردني الأشباح. وجدت أرضا خضراء، وكانت الخضرة تمتد حولي في كل مكان. ووجدت الأرض مليئة بوجوه أذكرها وفي الوقت ذاته لم أستطع أن أحدد هوية هذي الوجوه بالضبط. فكل ما أذكره أنها كانت وجوها موجودة كأنها بعض قطع الديكور في قصرنا.

ظننت أنهم سيهللون لرؤيتي وينصِّبُوني أميرا عليهم إلى أن نعيد بناء المملكة. لكنهم عندما رأوني بادروني بكلام غريب متضاحكين:

- أمازلت حيا؟

فقلت لهم على الفور:

- وما الذي يدعوني لأن أموت الآن؟!!

خطر في بالي أنهم هم الذين تسبَّبوا في كل ما جرى في القصر وفكَّرتُ أن أبادئهم بالهجوم. لكنهم كرروا سؤالهم دون أن ينتظروا أن أكمل كلامي:

- أمازلت حيا؟

قلت لهم:

- من أنتم حتى تتكلموا معي بهذه الطريقة؟

قالوا:

- نحن نحن.

وكرروا عليّ السؤال:

- أمازلت حيا؟

عندما تبيَّنْتُ غرابة الموقف كله، بدأتُ أشكُّ في أنهم أشباح اتخذوا صورة أخرى غير الأشباح التي كانت تطاردني. وعندما لمحوا في عينيّ نظرة شكٍّ وتساؤلٍ وحيرةٍ، قالوا لي في نَفَسٍ واحد:

- تعالَ اعملْ بِلُقْمَتِكَ.

لم أفهم كلامهم. ما علاقة العمل بلقمتي وما علاقة ذهابي إليهم بكل هذا؟ لم أستطع أن أفسر هذا الطلب الغريب.

لكنهم لم يمهلوني التفكير في العلاقات بين مفردات كلامهم. فهمتُ أن كلامهم تفسير عندما قالوا:

- إذا لم تعمل ستموت جوعا، وعليك أن تقرر مصيرك. لن يضغط عليك أحد. إما أن تعملَ، أو تسرِقَ، أو تأكلَكَ الذئابُ. وإن سرقتَ تعبَنا وشقاءَنا سنأكلك بأسناننا.

دارت كل الأمور في رأسي مرة واحدة. أأرجع إلى ذلك القصر لتسكنني الأشباح أو تأكلني أو تمص دمي؟ وربما أجد القصر ذاته شبحا كأنه لم يكن. أم أنني أذهب للذئاب لتأكلني؟ وهذا مصيرٌ لا يقلُّ رعبا عن المصير الأول. وإما أن أسرق كي لا أموت جوعا. لكنهم قالوا إنني إن سرقت سيأكلونني. وأنا لا أستبعد حتى الآن أنهم أشباح مثل الذئب الذي ينقضُّ في الفيلم ومثل أشباح القصر. لم يتبقَ أمامي إلا احتمال واحد: أن أعمل كما يقولون. لكن ما العمل؟ وهل أعمل معهم هم؟ استدركتُ: حتى وإن كانوا أشباحا كما أظن، لم يبدر منهم، على الأقل حتى الآن، ضرر أو إرهاب.

فلأظل معهم إلى أن أتدبَّرَ أمري. ومددتُ لهم يدا مترددة قائلا لهم:

- ولكنني لا أعرف ما العمل!

فقالوا في نَفَسٍ واحد وابتسامة أحسستُها صادقة ولم أرها منذ زمن بعيد:

- سنُعَلِّمُك.

ومدوا لي أياديهم مرحبين كأنهم يرونني لأول مرة. فواصلتُ خطواتي إليهم وأنا أحسُّ بأنني في مأمنٍ من أشباحِ القصر وروائحِه.

23-28 ديسمبر 2009

عن المؤلف

ولد جمال محمد عبد الرؤوف محمد الجزيري في 2 أغسطس 1973 بجهينة، محافظة سوهاج، مصر. كاتب قصة وشاعر وروائي ومترجم وكاتب مسرح وناقد ودكتور جامعي. بدأ مشواره الأدبي في عام 1991. تخرج في قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب بسوهاج 1995. حصل على الماجستير من قسم اللغة الإنجليزية بآداب القاهرة 1998عن رسالة بعنوان "تحولات المنظور في شعر روى فولر1936 – 1961"، ثم على الدكتوراه من قسم اللغة الإنجليزية بآداب عين شمس عام 2002 عن رسالة بعنوان "جوانب السرد في شعر روجر ماكجوف 1967 – 1987". يعمل منذ عام 1999 بقسم اللغة الإنجليزية بكلية التربية بالسويس، جامعة السويس بمصر وانتقل بعدها ليعمل بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في نفس الجامعة، ويعمل حاليا بقسم اللغات والترجمة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة بالمدينة المنورة. وقام في يناير 2014 بتأسيس مجموعة سنا الومضة على الفيسبوك بالاشتراك مع الأستاذ عصام الشريف (مصر) والأستاذ عباس طمبل (السودان)، وهي مجموعة تعني بشئون القصة الومضة نظريا وتطبيقيا ونقدا وإبداعا. كما قام في شهر مايو 2014 بتأسيس دار حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني.

الاسم بالكامل: جمال محمد عبد الرؤوف محمد

اسم الشهرة والنشر: جمال الجزيري

الجنسية: مصري

المهنة: دكتور جامعي، تخصص الأدب الإنجليزي

البريد الإلكتروني: elgezeery@gmail.com

جــوائــز

* المركز الأول في القصة القصيرة من جامعة جنوب الوادي 1995
* المركز الثالث في القصة القصيرة، المسابقة المركزية لهيئة قصور الثقافة 1996 – 1997 عن مجموعة بعنوان **أساطير**.

فهرس